مقدمة:

لقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام وجعله دينا قيما فمن اتبع هداه فاز بدنياه وأخراه ومن حاد عنه خسر خسرهما معا، وقد نصت آيات القرآن عن تشريعات وأحكام تخص حياة المسلم، كما أن السنة النبوية شرحت وبينت مقاصد تلك الآيات، في حين أن هناك مجالا واسعا لاجتهاد الفقهاء في مسائل تخص حياة المجتمع وبإمكانهم أن يستنبطوا الأحكام المتعلقة بتلك المسائل بناء على ما هو سائد في مجتمعاتهم دون أن تحيد تلك الفتاوى عن التشريع والأحكام المنصوص عنها في القرآن والسنة النبوية المطهرة.

تدوين النوازل:

إن بلاد الغرب الإسلامي قد عرفت في تاريخها الحضاري وخاصة الديني وما تعلق به في جميع مجالات الحياة ما يعرف بفقه النوازل. وفيما يخص تدوين النوازل في الغرب الإسلامي فقد عرفت ثلاث مراحل كما قسمها محمد الحجوي الثعالبي المتوفى سنة 1376م وهي:

1/ **الأولى**: تمتد خلال القرنين الثاني والثالث وهي أزهى عصور الفقه الإسلامي من حيث الفكر والإبداع.

2/ الثانية: من القرن الرابع إلى السابع الهجري توقف تطور الفقه الإسلامي وذلك بإغلاق باب الاجتهاد ولكن هناك توسع من حيث التدوين وأصبحت النوازل فرعا مستقلا من فروع الفقه، يغلب عليها الاجتهاد المذهبي والذي قل في المؤلفات الفقهية الأخرى.

3/**الثالثة:** من القرن الثامن إلى الوقت الحاضر تميزت كل مرحلة بصبغتها الخاصة تبين التطور الذي عرفه الفقه بأحكامه. ويقول الحجوي الثعالبي وهو يتحدث عن الأطوار التي مر بها الفقه:" وفي هذا العصر يعني القرن2هـ امتد الإسلام وكثرت الفتوح واتسعت المملكة الإسلامية من الهند إلى الأندلس واختلطت بأمم كثيرة... ودخلت الحضارة والرفه... فكثرت النوازل وظهر الفقهاء المفتون و القضاة العادلون فصار للفقه مكان...فنزلت النوازل وظهرت جزئيات النصوص التي كانت كامنة بين العموم والخصوص فأجتهد الفقهاء واستنبطوا الآراء وأسسوا المبادي وقعدوا القواعد". لم تسجل هذه النوازل والفتاوى بالغرب الإسلامي في كتب خاصة مع تلامذة الإمام مالك ك : يحي بن يحي الليثي وزياد بن عبد الرحمن والغازي بن قيس وعبد الرحمن بن دينار وحفدتهم الذين توارثوا الرياسة والفقه بالأندلس، حيث لم يكن منهجهم متجها إلى هذا النوع من التأليف إلا انه ينتقل بالرواية والسند خلال استنباطاتهم واجتهاداتهم في المسائل فينقله العلماء في كتبهم وفهارسهم وتدويناتهم الفقهية.

ومن جهة أخرى نجد مدونة الإمام مالك فهي أقدم كتاب وصل بعد الموطأ واستناده على إجابات أبي القاسم المصري المتوفى سنة 191هـ، وأسد بن الفرات المتوفى سنة 213هـ بالإضافة إلى أسئلة سحنون التنوخي المتوفى سنة 240هـ. أما الكتب التي تناولت النوازل **بشكل موضوعي** في **مرحلته الأولى** فنجدها بداية القرن الثالث كنوازل عبد الرحمن بن دينار القرطبي المتوفى سنة 227 وعبد السلام سحنون القيرواني ت.240 وابنه محمد بن سحنون ت.256. أما **المرحلة الثانية** فقد ألفت فيها أهم الكتب وتنافست المذاهب في التسابق العلمي مما أدى إلى تضخم كتب

الفقه وتشابك فروعها وأصبح من الصعب أن تستخرج منها المسائل الجزئية وظهرت النوازل كفرع مستقل من المؤلفات الفقهية لا تشتمل إلا على المسائل التي حدثت فعلا. وهذه القفزة كان أثرها بالغ الأهمية حيث أصبح هناك نضوجا فقهيا حيث برزت كوكبة من الفقهاء القضاة والمفتين الذين تمكنوا من إظهار الحكم الشرعي في كثير من المسائل المعضلة من خلال الإلحاق بما ثبت حكمه بالنص. بينما عرفت **المرحلة الثالثة** والممتدة من القرن الثامن الهجري وكانت حالة ضعف أثرت على تدوين النوازل الفقهية وخاصة في نوازل الأندلسيين نتيجة الاضطرابات السياسية حتى سقوط غرناطة سنة 897 للهجرة.

***<u>**المؤلفات النوازلية خلال القرنين 4 و5 الهجريين لفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي**</u>

تعتبر مؤلفات النوازل وعاء المجتمع تروي قضاياه وتفريعاته الفقهية كما أنها تعكس مدى إدراك فقهاء النوازل الذين يجتهدون في ربط المسائل والوقائع بأحكام الفقه ومن بين المؤلفات في ذلك الشأن:

1- أجوبة الفقهاء لمحمد بن سحنون التنوخي القيرواني ت.265
2- فتاوى اصبغ بن خليل أبي القاسم القرطبي ت .293
3- الأسئلة والأجوبة لأبي حفص احمد بن نصر الداودي ت.307
4- فتاوى ابن لبابة محمد بن عمر القرطبي ت.314
5- مسائل ابن زرب ابي بكر محمد بن يبقى القرطبي ت .391.
6- فتاوى ابن أبي زيد القيرواني ت .386
7- منتخب الأحكام لابن أبي زمنين محمد بن عبد الله بن علي الألبيري ت.399
8- فتاوى ابن الزويزي القاضي عبد الله بن أيمن الأصيلي المغربي ت.400
9- فتاوى ابن المكوي أبي عمر أحمد بن عبد الملك الأشبيلي ت.401
10-المقنع في مسائل الاحكام وفقه القضاء لابن بطال المتلمس سليمان بن محمد البطليوسي ت.402
اجوبة القابسي ابي الحسن علي بن محمد بن خلف التونسي ت.403
11- فتاوى ابن الشقاق عبد الله بن سعيد القرطبي ت.426
12- نوازل ابي عمران الفاسي ت.430
13- نوازل ابن مالك ابي مروان ت.460
14- نوازل -او مايعرف بفصول الاحكام- ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي ت.474
15- فتاوى الشيخ ابي الحسن علي اللخمي القيرواني ت.478
16- الإعلام بنوازل الأحكام أو الاحكام الكبرى لابن سهل ابن الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي القرطبي ت.486 تعتبر نوازله مصدرا أساسيا لفهم حياة المجتمع.

17- الأحكام للشعبي أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم المالقي ت497. بالإضافة أن هناك نوازل في القرن السادس توفي مؤلفيها في هذا القرن
18- الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام لابن دبوس عبد الله بن احمد الزناتي اليفرني قاضي فاس ت.511
19-نوازل أحمد بن سعيد اللخمي اللورقي ت.516
20- فتاوى بن رشد أبي الوليد بن محمد بن احمد القرطبي ت.520

21- المسائل والأجوبة لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ت.521.
22-نوازل الأحكام والفصول المقتضبة من الاحكام المنتخبة لابن الحاج الشهيد محمد بن احمد التيجيبي القرطبي ت.529

خصائص التأليف في فقه النوازل

إن الهدف من دراسة النوازل التطبيقية هو معرفة العطاء العلمي ومدى خدمة الفقه المالكي لمجتمع في واقعه المعيش. فالعطاء العلمي يظهر في أمرين من خلالهما ينتقل الكلام النظري إلى واقع عملي تطبيقي وهما القضاء باعتباره تجسيدا للفقه وإلزاما بقواعده والنوازل باعتبارها وعاء الإخبار بالأحكام الشرعية للمسائل الفقهية التي تقع للناس فيجدون لها حلا.
وبذلك شكلت المؤلفات النوازلية عند فقهاء المالكية بالغرب الإسلامي هذا العطاء العلمي في الإجابة عن أسئلة الناس وفي ربط الفقه بواقع المجتمع، بل شكلت تحولا مهما في مجال التدوين الفقهي عموما من حيث إبراز خصائص ومميزات المجتمع بالغرب الإسلامي حيث تضمنت هذه النوازل مجموعة من الوقائع التي عاشها الأفراد داخل مجتمعهم وصادفت حياتهم وبذلك يمكن إبراز الحالة الاجتماعية والثقافية و الفكرية والسياسية للمجتمع خلال تلك الفترة ومن هنا يتضح لنا بعض الخصائص التي ميزت هذه المؤلفات
أ/ واقعية الفقهاء: ارتباط الفقهاء بحياة الناس وملامستهم لواقع المجتمع المعيش. ومعرفة دقائق الأمور وحيثياتها وذلك شرط من شروط الإفتاء.
ب/ استيعاب مصادر الفقه المالكي: التعمق فيها وقدرتهم في التعامل معها وتنزيلها على الواقع وذلك تطبيقا لمصدرين تشريعيين للفقه المالكي هما: العرف وعمل أهل المدينة ثم الإبداع في الفقه النوازلي. من المرتكز الأصولي ومن حيث تطويعهم لهذا الفقه ليتماشى مع واقع الناس وكذلك المستجدات.
ج/ التأليف في نوازل الأحكام: تدبيرهم لفقه النوازل على منهجية النوازليين الكبار من خلال تدوين نوازل الأحكام الذي يقتصر على كبار الفقهاء النوازليين الذين كان يستشيرهم القضاة قبل إصدار الحكم لأن القضاء بالغرب الإسلامي بني على خطة الشورى حيث يعين الخليفة أو الأمير فقيها مشاورا إلى جانب القاضي من قضاة الحواضر.

د/ تنوع منهج التأليف النوازلي: تجميع أجوبته وأجوبة سابقيه ومعاصريه ويرتبها على أبواب الفقه المعروفة منها مثلا الأسئلة و الأجوبة لأبي حفص الداودي ت .307 و أجوبة القابسي ت.403

-تجميع فتاواه وفق الأبواب الفقهية من طرف من أتى بعده . مثلا المجموع المذهب في أجوبة الإمامين ابن وهب ت.197 وأشهب ت.204.

هـ/ إعمال العقل لفقهاء المالكية: النتاج الوافر لكبار الفقهاء والعلماء حيث نجد اغلبهم ألف في النوازل أو تحدث فيها فتم جمع أجوبته وهذا يدل على أن هؤلاء الفقهاء اعملوا العقل في استنباط الحكم من المصدر الشرعي ليطبق على النازلة لذا بقي الاجتهاد مفتوحا في كل النوازل والتي تتطلب حلا شرعيا مقبولا وقابلا للتطبيق. وهذا الأمر يؤكد حقيقة" قدرة الفقه على مواكبة تطورات الحياة ومستجداتها" و" قدرة الفقهاء على الاستنباط والاستخراج والتنزيل" ويعكس ذلك مدى الرقي الحضاري الذي وصل إليه المجتمع في تلك الفترة.

و/ اعتمادهم الاجتهاد من حيث التركيز على المصلحة والعرف وعلى العمل وعلى مقاصد الشريعة في إيجاد الحلول للنوازل " المصلحة هي مناط الإفتاء في الفقه النوازلي"

ن/ اعتماد أصول الإمام ملك في الإفتاء: فقهاء المالكية كانت لهم مدرستهم الخاصة في الاجتهاد والاستنباط ولم تتأثر بغيرها من المناهج والطرائق. فنجد أبي زيد القيرواني يؤلف كتابا في الدفاع عن المذهب" كتاب الاقتداء بأهل المدينة" وكتاب" الذب عن مذهب مالك" فظهرت آثار ذلك على الاتجاه النوازلي في القرنين الرابع والخامس فتميزت بخاصية الاجتهاد وفق الأصول المالكية.